المجمع 20 (2025/1446). 207-232

مقاربة ثنائيَّة الخير والشّرّ بين أدب الأطفال والفنّ السّينمائيّ: الحكاية الشّعبيّة أنموذجًا

رافع يحيى[1]

A Dualistic Approach to Good and Evil between Children's Literature and Cinematic Art: The Folk Tale as an Example

Rafiʿ Yaḥyā

Abstract

This scholarly article presents a nuanced examination of the dichotomy between good and evil as depicted in children's literature and cinema. It delves into the analysis of two renowned folk tales from global heritage that have been reimagined into children's narratives and cinematic adaptations. Specifically, it explores the story of "Jack and the Beanstalk" (JM, 1997), which inspired the film "Jack and the Beanstalk: The Real Story" (2001), as well as the story of "Sleeping Beauty" (JM, 1997), which served as the basis for the film "Maleficent" (2014). This study elucidates the transformative power of cinematic art in interpreting and reshaping narratives to align with a distinct cinematic perspective on the duality of good and evil. Consequently, it posits a discourse on how cinema presents a contemporary outlook on this dichotomy, prompting a reevaluation of how children's literature tackles such existential issues. These issues, rooted in philosophy, ethics, and intellect, often transcend the understanding and perception of young audiences. The films, nonetheless, offer a modernized viewpoint distinct from the original textual versions of the stories, with the new adaptations reflecting more contemporary societal developments and ideologies.

Keywords: Duality; Good and Evil; Folk Tales; Children's Literature; Cinema; Modernization.

[1] الكلّيّة الأكاديميّة العربيّة للتربية- حيفا.

مقدّمة

يُقدِّم هذا المقال قراءة نقديَّة معمَّقة في حضور ثنائيَّة الخير والشّر في أدب الأطفال والسّينما[1] من خلال تحليل لنموذجين من الحكايات الشّعبيّة[2] من التراث العالميّ تمّ تحويل كل منهما إلى قصّة للأطفال وفيلم سينمائيّ، هاتان الحكايتان هما جاك وجذع الفاصولياء (د.م.، 1997) التي حُوِّلَتْ إلى فيلم جاك وجذع الفاصولياء - القصّة الحقيقيّة[3] (Jack and the beanstalk, the real story) في العام 2001، وحكاية الأميرة النّائمة (د.م.، 1997) التي حُوِّلَتْ إلى فيلم ميلفيسنت[4] (Maleficent) في العام 2014.

يكشف المقال عن قوَّة الفنّ السّينمائيّ في محاورة القصّة ونقضها وفقًا لرؤية سينمائيّة خاصَّة لثنائيّة الخير والشّر، وعليه افترض مناقشًا أنّ السّينما تضفي رؤية معاصرة لهذه الثّنائيّة وفي ذلك دعوة لمراجعة كيف عالج النّصّ الأدبيّ المعدّ للأطفال هذه الثّنائيّة التي تُعدّ من القضايا التي تتعلّق بالوجود الإنساني، وهي أساسًا قضايا فلسفيّة وأخلاقيّة وفكريّة قد تتعدّى حدود استيعاب الأطفال وإدراكهم لها، يُقدِّم المقال إضافة إلى ذلك، مساحة إضافيَّة لفرص الحوار النّوعيّ بين أدب الأطفال والسّينما ومدى استفادة هذا الأدب بأبعاد جماليَّة مختلفة، وعن قوّة الفنّ السّينمائيّ في خلق مساحات جماليَّة جديدة في النّصّ الأدبيّ تقول مبارك في هذا السّياق: "إنّ المخرج يعيد إنتاج الحكاية ويقوم بعمليّة تحويل للمعطيات التّاريخيّة والاجتماعيّة والثّقافيّة الماثلة في العمل الأدبيّ، كي تتموضع في الإطار التّاريخي،

---

[1] للتوسّع في أدب الأطفال والرّسوم المتحرّكة، انظر: معمري، أ. (2020) " ألف ليلة وليلة بين أدب الطّفل والرسوم المتحركة" مجلّة ألف اللّغة والإعلام والمجتمع. مج،7، ع2،.74 – 59

[2] للتوسّع في التّأثير الإيجابيّ للحكاية الشّعبيّة في الأطفال، انظر:

VisikoKnox-Johnson.L .*The Positive Impacts of Fairy Tales for Children* (Hilo HOHONU: University of Hawai'i, 2016), vol. 14: 77-81.

[3] رابط الفيلم على يوتيوب 8https://www.youtube.com/watch?v=asKY3pcHuG

[4] رابط الفيلم على يوتيوب https://www.youtube.com/watch?v=FhJMbGRyjmE

الاجتماعيّ، والثّقافيّ يعمل السّينمائيّ بتقاليده وقيوده وتحدّياته، فتتوالد شبكة علاقات جديدة، وتصبح دلالة الفيلم نتاجًا لتفاعل كافّة تلك العوامل"(مبارك، 2016 ،16).

يُظهر هذا البحث أهميّة فهم الثّنائيّة في سياق الأدب والسّينما كأدوات لنقل القيم والتعاليم للأطفال، يتيح لنا التركيز على الحكاية الشّعبيّة كنموذج لتحليل هذه الثّنائيّة فهم عميقًا لكيفيّة تشكيل الأطفال لتصوراتهم عن الخير والشّرّ وكيفيّة تفاعلهم معها في الحياة اليوميّة.

بالإضافة إلى ذلك، يسلط الضّوء على أهميّة السّينما كوسيلة فعالة لنقل هذه القيم والتعاليم، حيث توفر الصّور المتحركة والقصص المصورة للأطفال منصة قويّة لاستيعاب وفهم مفهوميّ الخير والشّرّ بشكل مرئي وملموس، يتيح التحليل لنا فهماً أعمق لكيفيّة تأثير السّينما على تطوير وتشكيل تصورات الأطفال وقدراتهم على التفكير النّقديّ واتخاذ القرارات.

بالتأكيد، ينعكس هذا البحث على أدب الأطفال والسّينما بطرق متعددة، حيث يشجع على إثراء العروض السّينمائيّة والكتب الأدبيّة الموجهة للأطفال بمحتوى يعزز فهمهم لمفاهيم الخير والشّرّ بشكل متوازن ومفيد، كما يساهم في تطوير المواد التعليميّة والتثقيفيّة التي تهدف إلى تنمية قيم الأخلاق والتفكير النّقديّ لدى الأطفال.

منهجيّة البحث واختيار القصص والأفلام:

يتطلب منهج البحث في هذا المقال تحليلًا دقيقًا للعمليّة التي اتُّبعت في اختيار القصص والأفلام المدرجة كدراسة حالة، تم اختيار حكاية جاك وجذع الفاصولياء وحكاية الأميرة النّائمة بناءً على شهرتهما العالميّة وتأثيرهما الواسع في ثقافة الأطفال والأدب والسّينما، كما تم اختيار الأفلام التي تقوم على هذه القصص بناءً على تأثيرها السّينمائيّ وقدرتها على إعادة صياغة القصص الكلاسيكيّة بطريقة جديدة.

يمكننا استنتاج أن الاختيار قد تم استنادًا إلى أبحاث سابقة حول تأثير القصص الشّعبيّة والأدب الأطفال في السّينما، وكذلك على أساس تحليل شعبيّة وشموليّة القصص المختارة.

وقد استند اختيار القصص والأفلام المعنيّة إلى دراسة عميقة للجمهور المستهدف ومتطلباته، تم اختيار القصص الشّعبيّة التي تتناسب مع تفضيلات واهتمامات الجّمهور الّذي يتوقع استهدافه، على سبيل المثال، يتوقع الجّمهور الأطفال والعائلات المزيد من السّحر والمغامرة في الأفلام الخياليّة.

يمكننا القول أنّ الاختيار قد تمّ بناءً على فهم عميق لثقافة الجّمهور المستهدف وتفضيلاته واحتياجاته السّينمائيّة.

الخير والشّرّ في أدب الأطفال

ثمَّة موقفان بارزان في البحوث والدراسات من الحكاية الشّعبيَّة التي تُشكِّل رافدًا أساسيًّا وهامًّا من روافد أدب الأطفال: من الباحثين من يتخّذ موقفًا سلبيًا من الحكاية، ومنهم من يؤيّد ويشجّع تقديم الحكاية للأطفال، لكن ثمَّة جدليّة أخرى تتميّز بها الحكاية كان أشار إليها النّاقد S. Sharma في معرض حديثه عن رفض الحكاية وما تمثّله من شرّ، حيث يقول: "من المحتمل أن تكون قصص الخيال غير مناسبة للأطفال، حيث قد يُحرّضون على تقليد سلوك هذه الشّخصيات الشّرّيرة، ومع ذلك، يعمل الشّرّ الوارد في الخيال كقوّة دافعة لإبراز الخير" (Sharma, 2022, 327)، من أهمّ ما يرد في كلام شارما قوله، بأنّه لا وجود لمعنى الخير في الحكايات إلّا بضدّه ألا وهو الشّرّ، مقولة شارما هذه تستدعي التأكّد من حضور هذه الجّدليَّة فعلاً في نصوص أدب الأطفال.

بالمقابل، هناك من يرى في الحكاية الشّعبيّة وأدب الأطفال مجالاً خصبًا لتسليط الضّوء على مفهوم الشّرّ في مجتمع القرن العشرين، إذ جاءت السّيطرة على العقل العام من خلال الثّقافة الشّعبيّة على نحو عدوانيّ بلغ ذلك مستوى بات فيه الفرد لا يملك فرصة حقيقيَّة للابتعاد عن هذا المشهد، كان محتوى الأدب الشّعبيّ ينطوي على إعادة صياغة القوانين الأخلاقيّة للمجتمع الحديث نحو العدميّة وازدراء المعايير الأخلاقيَّة الأساسيَّة، وبناءً على ذلك، ينبغي أن ينظر إلى الأدب كأحد العوامل الرئيسيَّة لظاهرة تجلّي الشّرّ في المجتمع الحديث، وكان لذلك تأثير في أدب الأطفال الّذي استوعبت كتبه من أدب الرعب للبالغين

الطّيفَ الكامل للمؤامرات الغزيرة في الفجور والسّخريّة مع جميع التأثيرات النّاجمة عن ذلك" .(RUKAVISHNIKOVA, 2020, 93-101)

وفي السّياق نفسه، تطرّق النّقد الادبيّ لمسألة الخير والشّرّ لكتب أدبيَّة انتشرت في القرن التاسع عشر، وتمثَّل ذلك أساسًا لدى كتّاب مثل غريم في ألمانيا وتشارلز ديكنز في إنجلترا، وما يبرز لدى هؤلاء الكُتَّاب أنّهم اعتمدوا على رؤية بريئة للحكايات الخرافيَّة/ الشّعبيّة، واعتبارها نصوصًا طاهرة لا ينبغي أن تتضمَّن أيّ سلوكيَّات عنف أو شر، وقد أكّد الأخوان غريم على نقاء عالم الحكايات الّذي لم يتأثر، كما اعتقدا، بالآثار السّلبيَّة للحضارة، ومع ذلك، فإنّ تقييم الأخوين غريم للقصص بأنها "بريئة" كان في حد ذاته ليس بريئًا، والدّليل على ذلك أنّهم حاولوا تهذيب الحكايات لتتناسب مع عالم الأطفال (BÜYÜ, 2013, 2-3)، لا بدّ من الإشارة إلى أنَّ هذا الجّدال حول مسألة الخير والشّرّ سيبقى مستمرًّا، لأنّها قضيّة فلسفيّة ونسبيّة في الوقت ذاته، كما أنَّ للمدارس والمذاهب الفكريّة في النّظر إليها لها رؤية تحتمل الاختلاف في وجهات النّظر، واحتدام النّقاش يقودنا إلى التّساؤل التالي: هل انخرط أدب الأطفال في هذا النّقاش؟ وهل عالج القضايا الإنسانيّة الكبرى في نصوصه؟ وهذا ما سنناقشه في المحور التّالي من المقالة.

أدب الأطفال والقضايا الإنسانيّة الكبرى

لفهم العالم علينا أن نفهم أدب الأطفال فهمًا أعمق، وتأثيره على تطور الأطفال في مختلف جوانب حياتهم، بما في ذلك التنمية اللغويّة والاجتماعيّة والعاطفيّة، "يسلط أدب الأطفال الضّوء على دور القصص والحكايات في تشجيع خيال الأطفال وتعزيز تفكيرهم النّاقد، ويعتبر أدب الأطفال مصدرًا مهمًا للمعلمين والمربين والمهتمين بتطوير قدرات الأطفال، حيث يوفر لهم فهمًا شاملاً لدور أدب الأطفال في تحقيق هذه الأهداف، ويجب التشديد على أهميّة اختيار الكتب الجّيدة والمناسبة للأطفال، التي تحتوي على رسائل إيجابيّة وتعكس تنوع الثّقافات والخلفيات الاجتماعيّة، مما يساهم في بناء شخصيات أطفال متوازنة ومثقفة" .(McGillis, 2013)

إنّ أدب الأطفال بكلّ أجناسه له سياقاته الثّقافيّة والتّاريخيّة الّتي تساهم في صياغته، وهذا التّوضيح نلمسه في كتاب *Children's Literature in Context* للمؤلفF. McCulloch إذ يتناول الأدب الطّفوليّ في إطاره الثّقافيّ والتاريخي، حيث يسلط الضّوء على أهميّة فهم السّياق الّذي ينشأ فيه أدب الأطفال وتطوره، يقدم الكتاب رؤية شاملة لتاريخ وتطوّر هذا النّوع من الأدب، مما يمكن القرّاء من فهم كيفيّة تأثير الظّروف الثّقافيّة والاجتماعيّة والتاريخيّة على محتواه، كما يسلط الضّوء على تنوع الثّقافات والخلفيات التي ينشأ منها أدب الأطفال، وكيفيّة تأثير هذا التنوع على القصص والرسائل التي يحملها، بالإضافة إلى ذلك يناقش الكتاب أيضًا أهميّة تطوير قدرات القراءة لدى الأطفال من خلال الأدب الطّفولي، وكيف يمكن أن يكون هذا التطوير ذا تأثير كبير على تفكيرهم وتخيلهم، يُعتبر هذا الكتاب مصدرًا قيمًا للّذين يسعون إلى فهم أعمق للسياقات التي ينشأ فيها ويتطور هذا النّوع من الأدب (McCulloch, 2011).

للنقد دور كبير في استعراض ما يدور في فلك أدب الأطفال، فعلى سبيل المثال يستكشف المرجع *Exploring the 'critical' in critical content analysis of children's literature* أهميّة التحليل النّقديّ لأدب الأطفال، حيث يعزز فهم القارئ للقيم والرسائل العميقة المتضمنة في النّصوص الطّفوليّة، يوضح المؤلفون أن فهم الأدب الطّفوليّ بشكل نقديّ يساهم في تطوير المهارات الاستنباطيّة لدى الأطفال وتعزيز قدرتهم على التفكير النّقديّ، يركز المرجع على أهميّة التحليل النّقديّ في الكشف عن الأنماط الثّقافيّة والاجتماعيّة والسّياسيّة المتضمنة في الكتب الطّفوليّة، بالإضافة إلى ذلك، يسلط الضّوء على دور المحلل النّقديّ في استكشاف القضايا الحساسة والمعقدة مثل الهويّة والتنوع والعدالة الاجتماعيّة، يعمق المرجع في فهم كيفيّة تأثير السّياق الثّقافيّ والتاريخيّ والسّياسيّ على محتوى الكتب الطّفوليّة وتفاعل الأطفال معها، كما يبرز دور المراقبة النّقديّة في تعزيز التفاعل الإيجابيّ بين القارئ والنص الأدبي، لفهم أعمق للرسائل والقيم الكامنة في كتبهم، كما ويسلط المرجع الضّوء على أهميّة تفعيل دور القارئ النّقديّ في تحليل واستيعاب محتوى الكتب الطّفوليّة،

ويشدد على أنّ التحليل النّقديّ يساهم في تعزيز التفكير النّقديّ والتحليليّ لدى الأطفال، مما يعزز قدرتهم على فهم وتقييم العالم من حولهم بشكل أكثر انفتاحًا ووعيًا (Beach, 2009, 129-143).

وفي مجال الجّندر هناك الكثير من الدّراسات التي اهتمت بدراسته في أدب الأطفال على سبيل المثال لا الحصر:

دراسة *Stripping for the Wolf: Rethinking representations of gender in children's literature* والّتي سعت لإعادة تقييم التمثيلات الجّنسيّة في أدب الأطفال، وذلك من خلال تحليل نقديّ عميق للصور النّمطيّة التي تظهر في القصص الطّفوليّة، يقوم المؤلف بفحص كيفيّة تأثير هذه التمثيلات على بناء فهم الأطفال للجندر وتشكيل مفاهيمهم الاجتماعيّة والثّقافيّة، يتناول المرجع التحديات التي تواجهها تمثيلات الجّنس النّمطيّة والتقاليديّة في أدب الأطفال، مع التركيز على كيفيّة تشجيع هذه التمثيلات على الصّور النّمطيّة والأدوار الثّابتة للجنسين، يؤكد المؤلف على أهميّة تقديم تمثيلات جنسيّة متنوعة وشاملة تعبر عن تنوع المجتمع وتعزز القبول والتسامح، ويسلط الضّوء على أهميّة تمكين الأطفال من التفاعل مع شخصيات تعبر عن مختلف أوجه الجّنس والهويّة، مما يساعدهم على بناء تفاهم أعمق وأكثر تسامحًا للتنوع الجّنسي، بواسطة هذا التحليل العلميّ العميق، يقدم المرجع فهمًا أعمق لدور الأدب الطّفوليّ في بناء مفاهيم الجّنس والهويّة لدى الأطفال، ويساهم في تعزيز الحوار الاجتماعيّ والثّقافيّ حول موضوع الجّنس والتنوع الجّنسيّ في المجتمعات الحديثة، هذا يفتح الباب أمام المزيد من البحوث والتطبيقات العمليّة لتطوير أدب الأطفال الّذي يعكس التنوع والتسامح في المجتمع (Marshall, 2004, 256-270) .

في كتاب أصوات الآخر: أدب الأطفال والسّياق ما بعد الاستعمار للكاتب McGillis، يتناول المؤلف تأثير السّياق الاستعماريّ على أدب الأطفال وتمثيل الآخر في مرحلة ما بعد الاستعمار، يقدم الكتاب تحليلاً نقديًا عميقًا لكيفيّة تصوير الهويات والثّقافات الأخرى في أدب الأطفال، وتأثير ذلك على فهم الأطفال للعالم وتشكيل هوياتهم الثّقافيّة، يسلط الضّوء

على دور أدب الأطفال في تعزيز التنوع الثّقافيّ وتعزيز التفاعل الإيجابيّ مع الآخر، ويؤكد على أهميّة استخدام القصص لتعزيز التفاهم والتسامح بين الثّقافات المتنوعة، يُعتبر الكتاب مرجعًا أساسيًا لفهم التوترات والديناميات بين الثّقافات والهويات في سياق أدب الأطفال وما بعد الاستعمار، بالإضافة إلى ذلك، يقدم المؤلف نظرة نقديّة موسعة للصورة الشّاملة للآخر في أدب الأطفال، موضحًا التحديات والفرص التي تواجه كتابة القصص التي تعكس تنوع الثّقافات وتعزز التفاعل الإيجابيّ بين الأطفال من خلفيات مختلفة، يتناول الكتاب أيضًا مسائل الهويّة والانتماء في سياق الاستعمار وما بعد الاستعمار، مشيرًا إلى كيفيّة تأثيرها على تشكيل الذّات وفهم العالم للأطفال، وفي نهايّة المطاف، يقدم الكتاب منظورًا شاملاً لأهميّة تطوير أدب الأطفال الحديث كأداة لتعزيز التفاهم الثّقافيّ والتواصل الإنسانيّ في عصر متعدد الثّقافات (McGillis, 2013).

من الواضح أنّ أدب الأطفال لم يغب في معظم فتراته عن معالجة القضايا الإنسانيّة الكبرى والهامّة، مثل: ثنائيّة الخير والشّرّ، العنف، التّربية الجّنسيّة، الموت، الحرب والسّلام، الفروقات الطّبقيّة، الجّنسويّة وغيرها من القضايا الإنسانيَّة الهامّة، ولكنّ هذا الأدب كان يراوغ ويناور ضمن أساليب فنّيّة مختلفة لمقاربة الخير والشّرّ، كاعتماده على الأسلوب الرّمزيّ المتمثِّل في الحكاية الشّعبيّة[1]، وقصص الحيوان إذ أخفى النّصّ الأدبيّ الكثير من نواياه ومقاصده في طبقة من طبقات الحكاية أو القصّة، من أجل المحافظة على أدبيّة النّص والابتعاد عن المباشرة في معالجة الموضوع، خشية من ردّ فعل المجتمع أو السّلطة، وخير تمثيل لذلك من الموروث الادبيّ كتاب كليلة ودمنة (ابن المقفّع، 1979)، الّذي يعطي الأولويّة

[1] للتعرّف على أنواع مختلفة من الحكاية الشّعبيّة، انظر:

Ashliman, D, (1996-2024),"Folklore and Mythology Electronic Texts, University of Pittsburgh". https://sites.pitt.edu/~dash/folktexts.html

للعقل على العاطفة، ومن الحكاية الشّعبيَّة الفلسطينيّة[1]، الغول الّذي يرمز إلى الاغتصاب[2]، وكذلك موتيفات مثال تساقط أوراق الشّجر أو اللّاعودة غير المتوقّعة للبطل وهما يرمزان إلى الموت، وكذلك الشّجرة الكريمة (علي، 2001) التي ترمز إلى العطاء، والأميرة وحبّات الفول (حوراني، د.ت) التي تشير إلى الطّبقيّة في المجتمع، بينما عازف المزمار (مطلق، 1979) التي تلمّح بل تصرّح بتفشّي قضايا الفساد، ومن أكثر الأمثلة بوحًا لكثير من القضايا الإنسانيّة كتاب ألف وليلة وليلة (د.م.، 1998) الّذي صال وجال في أعماق الفكر.

وعطفًا على ما ذكر نؤكّد بأنّ حياديّة النّصّ الأدبيّ الموجّه للطّفل عبارة غير واقعيّة؛ لأنَّ مصطلح الحياد ليس قائمًا، كما نرى، في الأدب بشكل عام وفي أدب الأطفال بشكل خاص، فكلّ نصّ في أدب الأطفال مجنّد في خدمة اتّجاه ما، فكريّ، اجتماعيّ، سياسيّ، أو تربويّ، أدب الأطفال جهاز نشط دائم التفاعل مع الأحداث والمتغيّرات الّتي تدور حوله ويؤثّر فيها وتؤثّر فيه، أضف إلى ذلك النّصوص المتينة والمتمتّعة بأدبيّة راقية تتكوّن من طبقات نصّيَّة تتحمّل التأويل، ولا نقصد بذلك بأنّ النّصّ حمّال أوجه فقط، بل يخاطب جمهورين، جمهور الكبار وجمهور الصّغار، يقرأ كلّ منهما النص بوعيه وإدراكه، كالقصص المذكورة سابقًا، فهي قصص ذات طبقتين متمازجتين ببراعة فنّيّة مثيرة، تصل من خلالها إلى المتلقّي؛ فهي تمنح المتعة للقرّاء الصّغار، وتقدح زناد الحكمة لدى القرّاء الكبار، كما أن "الحكايات الشّعبيّة ذات دور مهمّ وإيجابيّ في مساعدة الطّفل على إتمام نموّه الدّاخليّ الخاصّ، كأنّ الحكاية الشّعبيّة في نفس الوقت الّذي تسلّي فيه الطّفل، تنير له ذاته، وتؤمّن نموّ شخصيّته، وهي غنيّة بالمعاني الّتي تُغني حياة الطّفل بمستوياتها المختلفة بحيث لا يضاهيها كتابٌ آخر في

[1] . للتّعرّف على نصوص من الحكاية الشّعبيّة الفلسطينيّة، انظر: مهوي، إ . كناعنة، ش (2001). قول يا طير. بيروت: مؤسّسة الدّراسات الفلسطينيّة.

[2] . انظر: قدّوري، ع. (2021). " صورة المرأة في المخيال الشّعبي: دراسة سيميو انثروبولوجيّة لحكاية الفتاة والغول". مجلة الدّراسات الإنسانيّة والاجتماعيّة، مج10: 202-189.

ذلك" (بتلهايم، 1985: ص: 31)، ويرى بتلهايم أيضاً "إنّ الحكايات الشّعبيّة تملك مدلولًا نفسيًّا فاعلًا في الأطفال وفي كلّ الأعمار، إذا كان صبيًّا أو بنتًا" (بتلهايم، 1985: ص: 36).

وكما ذكرنا فإنّ فنّ أدب الأطفال مؤثّر في المجتمع الّذي يحتضنه ويتأثّر به، لذا نراه دائمًا يتحرّك لأسباب مصدرها من داخل النّظام الأدبيّ ومن خارجه كذلك، وهي الّتي تعنينا في هذا المقام، يتداخل أدب الأطفال مع المتغيّرات السّريعة والعميقة الّتي تمرّ بها المجتمعات البشريّة، ابتداء من ضعف مؤسّسة العائلة ومرورًا بانفتاح المجتمع وسيطرة التكنولوجيا عليه، هذه المتغيّرات الاجتماعيّة، التّربويّة، التّكنولوجيّة، أرغمت فنّ أدب الأطفال على تطوير نفسه، وملاءمة أجناسه الأدبيّة المختلفة للتعامل مع معطيات الواقع، مثال على ذلك، الحركات النّسويّة التي دفعت أدب الأطفال لتقديم المرأة ضمن أدوار بطوليّة وقياديّة، أمَّا الانفتاح في مجال التّربية فقد دفع أدب الأطفال إلى معالجة قضيّة التّربية الجّنسيّة، كما أنّ انكشاف الأطفال على وسائل الإعلام والميديا بكلّ أنواعها، دفع بكتّاب أدب الأطفال والقائمين عليه للاهتمام بقضيّة الموت والعنف، يُمكننا القول، بأنَّ أدب الأطفال قد انتقل من الأبقار المقدّسة إلى عصر الانفتاح والتّحرّر من القيود المجتمعيّة والتّربويّة الّتي فرضت نفسها، ذات عهد مضى على أجنداته وموضوعاته، من أبرز مظاهر هذا الانتقال ترك التّابوهات والانتقال إلى مرحلة المواجهة وعرض القضايا الإنسانيّة الممنوعة دون خوف أو خشية من السّلطات الظّاهرة والخفيّة الّتي قمعت أدب الأطفال ذات يوم، ما وددنا قوله: أنّ أدب الأطفال سواء كان شعبيًا، شفويًا أو مكتوبًا، بات يقدّم لنا القضايا الإنسانيّة بشفافيّة ولا يكلّف نفسه باتّباع أسلوب الغموض أو أسلوب التّشفير، ومن وجهة نظرنا فإنّ الظّاهرة ايجابيّة، لكنّها قد تترك آثارًا سلبيّة تتميّز بغلبة مضمون النّصّ على فنّيّته، ممّا يفقده التّفوّق الإبداعيّ كنصّ أدبيّ يقدّم للأطفال.

الخير والشّرّ في الحكاية الشّعبيّة:

هناك الكثير من الدّراسات الّتي اهتمّت ببحث الحكاية الشّعبيّة وأهمّيّتها، فعلى سبيل المثال يقدم برونو بيتلهايم تحليلًا عميقًا لدور الحكايات الشّعبيّة في نمو وتطور الطّفل، يؤكد

بيتلهايم على أهميّة الحكايات الشّعبيّة كوسيلة لنقل القيم وتعزيز النّمو النّفسي والاجتماعي للأطفال، يبحث بيتلهايم في العوامل النّفسيّة التي تجعل الحكايات الشّعبيّة مفيدة للأطفال، مثل الرغبة في فهم الذّات والتعبير عن المشاعر وتطوير المهارات الاجتماعيّة، يقدم الكتاب دراسة مفصلة لعدة حكايات شعبيّة مع تحليل لعناصرها ومفاهيمها الرئيسيّة (Bettelheim, 2010).

كما ويستكشف جاك زيبس في كتابه *Fairy Tales and the Art of Subversion* دور الحكايات الشّعبيّة كوسيلة لتحدي الهياكل الثّقافيّة والاجتماعيّة المتعارف عليها، يبحث زيبس في كيفيّة استخدام الحكايات الشّعبيّة كأداة للتغيير الاجتماعيّ وتقديم رؤى مختلفة للعالم، يقدم الكتاب تحليلًا شاملاً لعدة حكايات شعبيّة مع توضيح كيفيّة استخدامها لتحديد المفاهيم الاجتماعيّة المتعارف عليها وتعزيز التفكير النّقديّ للأطفال (Zipes, 2017).

هذا ويقدم دونالد هاز في كتابه *The Greenwood Encyclopedia of Folktales and Fairy Tales* موسوعة شاملة للحكايات الشّعبيّة والقصص الخرافيّة من جميع أنحاء العالم، يقدم الكتاب مقدمة شاملة لتاريخ الحكايات الشّعبيّة وتأثيرها على الثّقافات المختلفة، يشمل الكتاب تحليلات مفصلة للعديد من الحكايات الشّعبيّة مع توضيح القيم والمواضيع التي تحملها (Haase, 2008).

وفي أصول الحكايات يقدم روث بوتيغهايمر في كتابه *Fairy Godfather* تحليلًا تاريخيًا لأصول الحكايات الشّعبيّة وتطورها في الثّقافة الإيطاليّة، يبحث بوتيغهايمر في كيفيّة تأثير الحكايات على الأطفال والمجتمعات بمرور الوقت، وكيفيّة تطور القصص لتناسب الظّروف الاجتماعيّة والثّقافيّة المتغيرة (Bottigheimer, 2002).

وفي كتابها *Fantasy: The Literature of Subversion*، تقدم روزماري جاكسون تحليلًا شاملاً لدور الأدب الخياليّ في تحدّي الهياكل الاجتماعيّة المتعارف عليها، تبحث جاكسون في كيفيّة استخدام الخيال لإظهار رؤى جديدة ومختلفة للعالم، وكيفيّة تحفيز التفكير النّقديّ لدى القراء (Jackson, 2019).

بينما يتطرّق عبد الله الغاضي في كتابه الخير والشّرّ في الحكاية العربيّة الشّعبيّة، للخير والشّرّ، ويُعتبر هذا الكتاب مرجعًا أساسيًا لدراسة ثنائيّة الخير والشّرّ في الحكايات الشّعبيّة العربيّة، يتناول الكتاب بشموليّة تطور مفهوم الخير والشّرّ عبر الزمن وتأثيراتهما على الثّقافة والمجتمع العربي، من خلال تحليل عميق لمجموعة متنوعة من الحكايات الشّعبيّة، يسلط الضّوء على التنوع والغنى في تمثيل الخير والشّرّ والتعامل معهما في الثّقافة العربيّة الشّعبيّة، يعتبر الكتاب مرجعًا قيمًا للباحثين والدارسين في مجال الأدب الشّعبيّ والثّقافة العربيّة (الغاضي، 2005).

أمّا محمد سليمان النّابلسيّ فيقدّم في كتابه، فلسفة الخير والشّرّ في الحكاية الشّعبيّة، نظرة فلسفيّة عميقة لمفهوميّ الخير والشّرّ في الحكايات الشّعبيّة، حيث يقدم المؤلف تحليلًا دقيقًا للأسس والقيم التي تحكم تمثيل الخير والشّرّ في الحكايات الشّعبيّ، يعتمد الكتاب على مراجع فلسفيّة وأدبيّة موثوقة، مما يجعله مرجعًا هامًا لفهم الجّوانب الأخلاقيّة والفلسفيّة للحكايات الشّعبيّة (النّابلسي، 2012).

وفي كتابها تهتم سهى السّلامة، ثنائيّة الخير والشّرّ في الحكايّة الشّعبيّة: دراسة نقديّة، تهتم سهى السّلامة بتقديم دراسة نقديّة لثنائيّة الخير والشّرّ في الحكايات الشّعبيّة، حيث يحلل المؤلف العناصر التي تمثل الخير والشّرّ ودورها في نقل القيم والتعاليم في الحكايات الشّعبيّة، يستند البحث إلى مصادر أدبيّة ونقديّة متنوعة، مما يجعله مرجعًا مهمًا للدارسين والباحثين في مجال الأدب الشّعبيّ والثّقافة (السّلامة، 2021، 45-66).

وأخيرا في كتاب *The Good and the Bad in Folktales* من تأليف Margaret Read MacDonald، تتناول المؤلفة بعمق ثنائيّة الخير والشّرّ في الحكايات الشّعبيّة، تقدم الكاتبة دراسة شاملة ومفصلة لكيفيّة تمثيل الخير والشّرّ في القصص الشّعبيّة، مشيرة إلى الأدوار المتنوعة التي تلعبها هذه الثّنائيّة في بناء الشّخصيات وتقديم القيم الأخلاقيّة، تقوم المؤلفة بتحليل مجموعة واسعة من الحكايات الشّعبيّة من مختلف الثّقافات، مما يسمح للقارئ بفهم تنوع وغنى تمثيل الخير والشّرّ في الثّقافات المختلفة حول العالم، يتناول الكتاب أيضًا

العلاقة بين الخير والشّرّ وسيرورة الحكايّة، وكيفيّة استخدام هذه الثّنائيّة كأداة لنقل الحكمة والتعليم، علاوة على ذلك، تتطرق الكاتبة إلى دور الخير والشّرّ في بناء البنية السّرد للحكاية الشّعب وتطور الحبكة، كما يناقش التأثير الثّقافيّ والاجتماعيّ لهذه الثّنائيّة وكيفيّة تشكيل تصورات النّاس حول العالم والحياة (MacDonald, 2006).

الخلفيّة النّظريّة للتّحليل

استند تحليلنا إلى مجموعة من النّظريات الأدبيّة والسّينمائيّة لفهم العلاقة بين الأدب الأطفال والسّينما، تم استخدام النّظريّة النّقديّة والماركسيّة لفهم التأثير الثّقافيّ والاجتماعيّ للقصص والأفلام على الجّمهور.

يمكننا استنتاج أن التحليل النّظريّ قد تم بناءً على البحوث السّابقة في مجال أدب الأطفال والسّينما، والتي قدمت إطاراً نظرياً لفهم تأثير القصص الخياليّة على الجّمهور.

تم توظيف النّقد الأدبيّ والسّينمائيّ كأدوات تحليليّة لفهم وتقييم الاختلافات والتشابهات بين القصص الأصليّة والأفلام المقتبسة، تركزت الدّراسة على كيفيّة تكييف العناصر الأدبيّة والسّينمائيّة لتتناسب مع بيئة السّينما وتوجهات جمهورها المتغيرة، تضمن التحليل تفاصيل محددة حول كيفيّة تغيير الشّخصيات والحبكة والمضامين الرئيسيّة في عمليّة التحويل من النّصوص الورقيّة إلى السّينمائيّة.

قدمت الدّراسة نظرة شاملة على التغييرات التي طرأت على القصص الأصليّة، مع التركيز على تفاصيل مثل الطّابع الزمانيّ والمكانيّ والتطورات في التقنيات البصريّة والتأثيرات الخاصة، كما تناولت الدّراسة كيفيّة استخدام المخرجين والكتاب للتعبير عن الرسائل والقيم والمواضيع الرئيسيّة للقصة من خلال لغة السّينما.

تضمن التحليل أيضًا مناقشة مدى تأثير العوامل الثّقافيّة والاجتماعيّة على عمليّة تحويل القصص، مع التركيز على كيفيّة تفاعل الجّمهور مع القصص المقتبسة في سياق السّينما المعاصرة، توضح النّتائج كيفيّة تطور فهم القصص الكلاسيكيّة وتأثيرها على الثّقافة الشّعبيّة في ضوء التحولات الاجتماعيّة والتكنولوجيّة الحديثة.

من المرجح أن يسهم هذا التحليل في فهم تأثير القصص الأطفال والأدب الشّعبيّ في السّينما بشكل أعمق، وكذلك في استشراف تطورات المشهد السّينمائيّ في مواجهة التحديات الثّقافيّة والاجتماعيّة المعاصرة.

يمكننا الإفادة بأنّ التحليل قد تم بناءً على دراسة متأنية للعناصر الروائيّة والسّينمائيّة، وتحليل كيفيّة تأثير تلك العناصر على السّرد والتمثيل والجمهور.

شغلت ثنائيّة الخير والشّرّ الحكاية الشّعبيّة منذ القدم، والحكاية بهذا الانشغال كانت جزءًا من تعامل الإنسان المطلق مع الثّنائيّات الكثيرة في حياته، فهو يدور دائمًا بين قطبين متنافرين ومتباينين، لذا نجد ثنائيّة الخير والشّرّ تفرض نفسها في الحكايات الشّعبيّة، فهي الثّنائيّة الأهمّ والأقوى الّتي تحرّك الإنسان وتقرّر مصيره،" من أبرز ما يتجسّد في الحكايات الشّعبيّة من المنظور الأدبيّ، شخصيَّة البطل الذي يرمز للخير بالطبع، فهو المدافع عن العقد الأخلاقيّ للمجتمع والمحافظ على استقراره، في مقابل عدوّه الشّرّير الّذي لا يملك أجندة سوى نفسه ومصالحه الخاصّة، لأجلها يدوس على الجّميع، وليست لديه أخلاق حتّى في التّعامل مع تابعيه، فلا مانع عنده من سحقهم إذا رغب في ذلك لا أكثر" (العناني، 2018)، ومن خلال الحكايتين التّاليّتين، جاك وجذع الفاصولياء والأميرة النّائمة سنناقش مسألة ثنائيّة الخير والشّرّ والحوار بينهما وبين السّينما.

جاك وجذع الفاصولياء (Ottolenghi, 2001)

إذا قرأنا أهمّ إصدارين في مجال الحكاية الشّعبيّة العالميّة، وأعني بذلك حكايات أمّي الإوزّة *Tales of Mother Goose* لتشارلز بيرو (1659) الكتاب الّذي جمع بيرو بين دفّتيه الحكايات الشّعبيّة الفرنسيّة، والإصدار الثّاني كتاب حكايات الأطفال والبيوت للأخوين غريم (1816-1812)، الّذي جمعا فيه حكايات شعبيَّة ألمانيّة، يجد القارئ لهذين الكتابين أوصافًا كثيرة لثنائيّة الخير والشّرّ، فعلى سبيل المثال، قصّة جاك وجذع الفاصولياء هي من القصص الهامّة الّتي قدّمت لنا البطل الطّيّب جاك الّذي عاش مع والدته في قلب الغابة، كان جاك وأمّه فقراء جدًّا ممَّا دفعهما ذلك إلى الكفاح أجل الحصول على قوت يومهما، في يوم من

الأيّام، قرّرت والدة جاك ذات يوم بيع بقرتهما القديمة لشراء الطّعام يكفيهما بضعة أيام، أرسلت الأمّ جاك إلى السّوق لبيع البقرة، وفي منتصف الطّريق، صادف جاك رجلاً عجوزًا غامضًا الّذي سأله إلى أين هو ذاهب؟ أجاب جاك بأنه في طريقه إلى السّوق لبيع بقرته، قال له الرجل: سأعطيك بعض الفاصوليا السّحريّة مقابل بقرتك، هذه الفاصوليا ليست عاديّة؛ فهي ستجلب لك الثّروة والحظ، عليك فقط أن تزرعها في حديقتك وتراقب تغير مصيرك، وافق جاك على عرض الرجل العجوز، ولمّا عاد إلى البيت نثر البذور في الحديقة التي سرعان ما نمت إلى شجرة بازيلاء عملاقة، يتسلّق جاك شجرة البازيلاء ليصل إلى المملكة السّحريّة في أعالي السّماء، وهناك يسرق الإوزّة السّحريّة والقيثارة السّحريّة، وكما هو معروف، فإنَّ القيثارة تعزف والإوزّة تبيض بيضات ذهبيّة، ويعود جاك إلى الأرض وبحوزته ما سرق، وعندما يصل إلى الأرض يقطع نبتة البازيلاء العملاقة التي صعد من خلالها إلى المملكة السّحريّة في السّماء، ويسقط العملاق الشّرّير صاحب المملكة ويموت، بينما يعيش جاك مع أمّه في حياة رغيدة وثريّة (د.م، 1997).

يُلاحظ أنّ هذه الحكاية أضفت عدّة صفات على البطل جاك، منها: الشّباب، حبّ المغامرة، الشّجاعة، الوسامة، الطّيبة، والفقر، حتّى يتعاطف معه القرّاء الصّغار، كعادتها تبحث الحكاية الشّعبيّة عن ملامح تحيط بها البطل لتقدّمه من خلالها كرمز للخير المطلق الّذي يحارب الشّرّ، ومن يمثّل الشّرّ هو العملاق، غريب، ضخم الجّثّة، شرّير، وهي بهذا تمهّد البطل جاك ليفتك به وتمنحه كلّ الصّلاحيّات المطلقة للقضاء عليه، والمقصود تصوير خير مطلق مقابل شر مطلق، والأمر لا يستقرّ على هذه المعادلة فحسب، بل تعدّاه إلى تقسيمات جديدة توسّعت فشملت المملكة السّحريّة في السّماء الّتي ترمز من خلال شخصيّة العملاق للشّر، بينما رمزت الأرض من خلال شخصيّة جاك في الحكاية إلى الخير، تقسيم العوالم في الحكايات الشّعبيّة إلى خير وشر، عوالم علويّة وسفليّة، هذه التّقسيمات مردّها إلى عقليّة الإنسان المبنيّة بشكل عام على الثّنائيّات والتّقاطب.

ما يلفت الانتباه أنّ بناء شخصيّة جاك والتّحضير لها من خلال السّرد، منحاز بالمطلق لهذه الشّخصيّة؛ فالحكاية تبثّ لنا رواية واحدة وهي رواية جاك، من قال أنّ هذه الرّواية صحيحة وصادقة، وغير مزوّرة؟ لم تسمعنا الحكاية أيّ كلمة تتعلّق بدفاع العملاق عن نفسه ولربّما عن الحقيقة، فكلّ شخصيّة البطل جاك الّذي يرمز إلى الخير مبنيّة على رواية متأرجحة وقد تكون كاذبة، هدفها ذرّ الرّماد في العيون، خلال فترات طويلة من الزمن تدافع الحكاية في صيرورتها ومركّباتها الفانتازيّة عن بطل قد يكون لصًا. نعم جاك هو لص وهذا ما لم تقله الحكاية، نهب خيرات المملكة السّحريّة وعاد بها إلى الأرض، ولإخفاء جريمته قضى على الدّليل الأهم، العملاق، الّذي من شأنه أن يكون شاهدًا على الجّريمة.

تجدر الإشارة إلى أنّ الحكاية الشّعبيَّة خشيت من فقدان التّوازن الّذي افترضته في ذهنيّتها، وهو ثنائيّة الخير والشّرّ، فعند تشويش الفروقات الّتي أبرزتها هذه الثّنائيّة تسقط حينها فكرة القصّة، وتتلاشى المتعة المرجوّة منها، وتغيب اللّذة الّتي تسعى لتقديمها، لذا دأبت دائمًا من أجل المحافظة على هذا التوازن.

إعادة سرد النّص من وجهة نظر جديدة في السّينما

لا بد من افتتاح هذا الباب من الدّراسة بالتأكيد على أنّ التحويل (transformation) يؤدّي إلى تغيير في تقديم القيم خاصة إذا كان النّص المكتوب يحوّل إلى عمل سينمائيّ، وفي هذا السّياق، يسلط John Smith الضّوء على تأثير التكييف السّينمائيّ للأفلام على فهم القيم لدى الأطفال، تحليل الدّراسة يتناول العوامل التي تؤثر في تصورات الأطفال للقيم وكيفيّة تشكيلها من خلال الأفلام، تستند الدّراسة إلى استعراض شامل للأدب العلميّ المتعلق بتأثير الأفلام على فهم القيم لدى الأطفال، تقدم الدّراسة نتائجها واستنتاجاتها حول تأثير الأفلام على سلوك الأطفال وتشكيل مواقفهم الاجتماعيّة، يعتبر البحث مرجعًا هامًا للباحثين والممارسين في مجال تعليم الأطفال وتطوير المواد التعليميّة السّينمائيّة، تحتوي الدّراسة على توصيات قيمة لتحسين فهم القيم لدى الأطفال من خلال استخدام وسائل الإعلام المرئيّة، يوضح البحث أهميّة الأفلام في توجيه تصورات الأطفال للقيم وتأثيرها على سلوكهم

ومواقفهم الاجتماعيّة، يساهم هذا البحث في توجيه الجّهود نحو تطوير مواد تعليميّة سينمائيّة فعّالة لتحقيق أقصى استفادة تربويّة، تشير الدّراسة إلى ضرورة فهم تأثير وسائل الإعلام على تطور الأطفال وتوجيه القيم لديهم وتوجيه سلوكهم أيضًا، تعتبر الدّراسة مرجعًا أساسيًا لفهم العلاقة بين السّينما وتشكيل قيم الأطفال في العصر الحالي (Smith, 2020, 78-92).

"كان الفصل بين مفاهيم الخير والشّرّ وخصائصهما، مطلقاً وواضحًا ومعلنًا في أدب الأطفال منذ نشأته بشكله الشّكل الحديث في القرن الثّامن عشر، لكن في العقدين الماضيين، يمكننا ملاحظة التوجه نحو تغيير هذه المفاهيم وقلبها رأساً على عقب، من خلال التشكيك في هذه الازدواجيّة الحتميّة المعلنة بين الخير والشّرّ، كتب أطفال مختلفة، مثل قصة الذئب لفورورارد وكوهين (2005)، وسلسلة جماعة الأشرار لبلابي (2016)، وسلسلة أرض الحكايا لكريس كولفر (2013-2017)، إلى جانب أفلام الأطفال مثل أنا الحقير (Despicable Me)، (2010) وفيلم ماليفسنت (Maleficent) (2024)، هي فقط جزء صغير من الروائع الأدبيّة والسّينمائيّة المعاصرة التي يعشقها الأطفال وتقدّم الخصم، الشّرّير، كشخصيّة واعية لشرّها في ضوء إيجابي" (وتد، 2022).

وهذا ما حصل حقًا للحكاية حينما أنتج فيلم جاك وجذع الفاصولياء: القصة الحقيقيّة، وهو مسلسل تلفزيونيّ أمريكي من إنتاج عام 2001، من إخراج براين هينسون، والفيلم ثمرة تعاون بين شركة هالمارك للترفيه وشركة جيم هينسون، وقد هدف مخرج الفيلم هينسون إلى دحض ما جاءت به الحكاية، بأنّ جاك هو رمز للخير، وفي هذا السّياق تقول كاترين نيقولس (Catherine Nichols): "الأشخاص الصّالحون لا يحاربون من أجل الربح الشّخصيّ فقط: إنهم يحاربون من أجل ما هو صحيح - قيمهم" (Nichols, 2018).

وقد أثبت الفيلم كذب جاك ووصفه باللّص، كما ومنح المملكة السّحريّة ومن يمثّلها حقّ الدّفاع عن نفسها، ومنح فرصة للطّرفين للإدلاء بأقوالهما، من أجل الوصول إلى الحقيقة، بعض الحكايات الشّعبيّة الأجنبيّة تعطي شرعيّة للاستعمار والكولونياليّة؛

فشخصيّة جاك ترمز لهما بوضوح، والحكاية الأصليّة تخفي ذلك تحت ثوب الفانتازيا والسّحر، وهذا يعيدنا من جديد إلى مصطلح الأدب المجنّد، وأنّ أدب الأطفال غير بريء بل يخدم ويمثّل أجندة مختلفة، وفي حالتنا هذه، فإنّ حكاية جاك وجذع الفاصوليا تسوّق وتدعو بأسلوب رمزيّ إلى الاستعمار والكولونياليّة، وأسلوب الفيلم وهدفه أشبه بما يسمّى إعادة كتابة التّاريخ أو تصحيح مساره، خلاصة القول، من خلال قراءتنا لهذه القصّة فإنّ رمز الخير في الحكاية الشّعبيّة ليس ضروريًّا أن يكون واضحًا كالسّماء الصّافية، بل هو نسبيّ وما يحسم الأمر في هذه القضّيّة هو وجهة نظر القارئ، هويّته وفكره وتوجّهاته الايديولوجيّة، والنّص أيّا كان هو حمّال أوجه، ويخضع للظّروف التّاريخيّة الّتي أنتجته، الأمر الّذي يعزّز أحيانًا أهمّيّة قراءة النّصوص قراءة تاريخيّة، من أجل كشف اللّثام عن كثير من الرّسائل غير المصرّح بها خلال النّصّ، وهنا يُطرح السّؤال الأهم: هل يقدّم أدب الأطفال نفسه للأطفال، كنص مشفّر لواقع معقّد، يختزن فيه الكثير من شحنات الخير والشّرّ؟ حكاية جاك وجذع الفاصولياء هي مثال على نص يحتمل طبقتين من القراءة والتأويل، القراءة الّتي تعتمد تفكيك شيفرات النّصّ، والوصول إلى استنتاجات تربط الحكاية بالواقع ربطًا واضحًا، وهي طبقة تخاطب جمهور القرّاء الكبار، أمّا الطّبقة الثّانية فهي موجّهة لجمهور الأطفال، وتحاكيهم من خلال العجائبيّ كشجرة البازيلاء السّحريّة والمملكة السّحريّة والعملاق، من أجل إمتاعهم وتسليتهم وبثّ روح المتعة في نفوسهم، وترى سارة العناني، في هذا السّياق، أنّ تقديم الخير والشّرّ في قالب فنّي كالحكاية الشّعبيّة، يمنحه شرعيّة ومصداقيّة (العناني، 2018)، وهذا ما يمكن أن تحظى به الحكاية الشّعبيّة من قبل جمهور قرّائها سواء كانوا كبارًا أو صغارًا.

نسبيّة الخير والشّرّ في حكاية الجّميلة النّائمة (د.م.،1997)

طالما كان السّؤال مطروحًا: ما الحكمة من وراء حكاية الأميرة النّائمة؟ وهي حكاية حظيت بأسماء عدّة، الجّميلة النّائمة، أو الحسناء النّائمة، أو الأميرة النّائمة، وهي حكاية خرافيّة شهيرة ألفها الكاتب شارل بيرو ونشرت عام 1697 في مجموعة حكايات من الماضي (بيرو، 1679)، وملخّص الحكاية، أنّه وقع على الأميرة الجّميلة لعنة شريرة، تقدر لها أن تجرح أصبعها بإبرة المغزل ثم تموت، ولكن بمساعدة الجّنّيّات يتم تحويل اللعنة إلى أن تنام الأميرة، وتبقى الأميرة نائمة لمدة 100 عام، ليحضر الأمير ويخترق القصر وجدار الشّوك، يقبّل الجّميلة وينقذها وفي النّهاية تعيش الأميرة معه في سعادة وهناء (د. م.،1997).

ونعود إلى تساؤلنا السّابق، ما هي الحكمة الّتي أتت من أجلها هذه الحكاية؟ هذه الحكاية، من وجهة نظرنا، تمّ تأويلها خطأ على مدار سنوات كثيرة، ومن التأويلات السّائدة في هذا السّياق تأويل قبلة الأمير المنقذ هي الّتي أيقظت الأميرة من سباتها، وهذا التّفسير خاطئ، لو كانت القُبلة مجرد قبلة من شاب لفتاة، لكانت استيقظت الأميرة وحدها من سبات سحريّ دام مائة عام، ولكن ما حصل أنّ المملكة كلّها استيقظت، وهذا يدلّ على أنّ الحكاية تتضمّن حكمة ورسالة أكبر بكثير من قبلة شاب لفتاة، إنّ القُبلة ترمز للمحبّة بمفهومها الواسع والشّامل، لكن بسبب الشّرّ والكراهيّة والحقد الّذي ملأ قلب الجّنّيّة، نامت المملكة وتجمّدت، وعندما امتلأ قلب الأمير بالخير والمحبّة، استيقظت المملكة كلّها وعادت إلى الحياة من جديد، ومعنى ذلك أنّ القلوب إذا امتلأت بالخير والمحبّة اخضرّ الكون وتطوّر، وإذا طغى الشّرّ والكراهيّة على القلوب، تجمّد الكون وتصحّر وتدمّر، ثنائيّة الحياة والموت في هذه الحكاية تقابلها ثنائيّة الخير والشّرّ، الجّديد في هذه الحكاية أنّ الخير فيها يرمز إلى الحياة والشّرّ يرمز إلى الموت.

ما يلفت النّظر في هذا المقام، أنّ بعض النّاقدات النّسويات اعتبرن الحكاية تتحيّز لصالح الذّكر، الأمير، مقابل ضعف الأنثى، الأميرة، ويتساءلن لماذا يتمّ إنقاذ النّساء بشكل عام من قبل الذّكور في الحكايات الشّعبية، تحت راية ما يسمّى في علم النّفس عقدة ساندريلا

(كفافي، 2003)، ونقصد بعقدة سندريلا حاجة الأنثى لوجود ذكر في الجّوار ليساعدها وينقذها عندما تقع في مأزق، هذا التّوجّه فيه تضييق لرسالة الأميرة النّائمة، لأنّه يحدّد القُبلة كقبلة رومانسيّة بين أمير وأميرة، ليس أكثر، ويلغي رمزيّة القُبلة، بمفهومها الواسع كدلالة على الخير.

ومن نافلة القول نذكّر بأنّ هذه الحكاية الفانتازيّة، الحافلة بعالم الأمراء والأميرات والقصور والجنّيّات، تقدّم لنا عالمًا مثاليًا، لكنّه يعاني كذلك من صراع الخير والشّرّ مثل أيّ عالم آخر، وهذه إشارة بأنّ الخير والشّرّ عالم واسع وغير محصور بطبقة مجتمعيّة دون غيرها، ويلاحظ بأنّ هذا النّص اعتمد كذلك على إعداد البطل الأميرة النّائمة بالعدّة المناسبة ليحبّها القرّاء ويتعاطفوا معها، أميرة، جميلة، ضحيّة، شابّة، مظلومة، وبالتّأكيد يصفّق الجّميع للنّهاية السّعيدة، عاش الأمير والأميرة بفرح وهناء، حتّى يومنا هذا، والسّؤال الّذي يعاجلنا في هذا السّياق: لو لم تكن الضّحيّة أميرة هل سنتعاطف معها؟ أم أنّها حكاية مشاهير وقد حظيت لهذا السّبب بكلّ هذه الشّهرة؟ وقد يضاف هنا سؤال آخر هام: ما الّذي منح هذه الحكاية هذه الشّهرة؟ هل هي القوى الخفيّة في سحر البناء الفنّيّ للحبكة؟ فالحكاية متماسكة فيها كل عناصر الضّبط، وهي أشبه بسيمفونيّة راقيّة محمّلة بالتّشفير الّذي يخترق العقل الباطني، ويمنحه اللّذّة والمتعة والأمان الرّوحاني، أمّ التّرقب للحظة الحسم في نهاية الحكاية، فهل مصدره الرّغبة القويّة لانتصار الخير على الشّرّ أم أنّ حبّ الأميرة الجّميلة من القرّاء هو ما دفعهم للتّرقّب والانتظار؟ لا يهمّ سبب الانتظار للفرج عن الاميرة، فقد نجح الكاتب في مزج الفانتازيا مع الواقع ضمن صراع الخير والشّرّ، ومخاطبة العقل الباطنيّ عبر المثال والجمال، وهذا كلّه جعل هذه الحكاية عملًا مكتمل المعالم، حقّق التّوازن بين الشّكل والمضمون، وحقّق المعادل الموضوعيّ المنشود في الأدب.

وهنا لا بدّ من وقفة لمحاسبة النّفس والعقل، هل أخضعتنا الحكاية لتنويم مغناطيسيّ عبر أحداثها الشّائقة والفانتازيّة المبهرة، فنسينا جميعًا أن نسأل السّؤال الأهمّ، لماذا تصرّفت الجّنّيّة على هذا النّحو؟! ما الّذي يدفع جنّيّة لإيذاء طفلة؟ بالطّبع لم يسأل أيّ منّا هذا

السّؤال؛ فقد سيطرت علينا ثقافة القطيع، وملنا كلّنا لذات الرّأي وهو أنّ الشّرّ المطلق تمثّله الجّنّيّة الشّرّيرة وأنّ الخير المطلق يمثّله الأمير، تقمّصنا هذه الرّؤية واسترحنا، لم نناقش ولم نجادل، لم نفحص ولم نفكّر خارج الصّندوق، ابتلعنا الرّواية الشّائعة وصمتنا!

لكنّ كلّ ما ذكر في الفقرة السّابقة لا يشمل الجّميع، والاختلاف شرعيّ عند تذوّق الأدب، وعليه فقد كان للسّينما المعاصرة رأي آخر؛ فقد تبنّت رواية أخرى مغايرة لروح حكاية الأميرة النّائمة، أي أنّها سعت إلى التّمرّد على حبكة الحكاية الأصليّة، ومالت بوضوح إلى إنصاف الجّنّيّة الشّرّيرة كما وصفتها حكاية الأميرة النّائمة الأصليّة، ويتبنّى الفيلم ماليفسنت (Maleficent, 2014) الّذي تناول سينمائيًّا حكاية الأميرة النّائمة وفقًا للرّواية التّالية: مالفيسنت، الجّنيّة القويّة المقيمة في الغابات المسحورة، تقع في البداية في حب فلاح بشريّ يُدعى ستيفان، لكن علاقتهما تتدهور بسبب طموحات ستيفان للسلطة التي تظلل حبهما، عندما يسعى الملك هنري من المملكة البشريّة المجاورة لغزو الغابات المسحورة، تصده مالفيسنت، لكن ستيفان، مدفوعًا بالطموح، يخونها بقطع جناحيها، هذه الخيانة تظلم مناخ مالفيسنت، مما يؤدي بها إلى ملامح أكثر ظلامًا، حيث تلعن ابنة ستيفان، أورورا، بالسّقوط في نوم عميق في عيد ميلادها السّادس عشر، على الرغم من العداء الأوليّ الّذي كانت تشعر به مالفيسنت تجاه أورورا، إلا أنها تطور رابطًا أموميًا معها على مر السّنين، عندما تسقط أورورا في نومها الملعون، تقوم مالفيسنت، ممتلئة بالحب الحقيقي، بكسر اللعنة بقبلة، في الصّراع النّاشئ مع ستيفان، تخرج مالفيسنت منتصرة، معيدة السّلام بين الممالك وتتوج أورورا كحاكمة جديدة، التي تبدأ بعلاقة مع الأمير فيليب (Maleficent, 2014).

الأيديولوجيا الكامنة في فيلم مالفيسنت

قد يتساءل مشاهد فيلم مالفيسنت، ما الجّديد في الفيلم؟ بماذا يختلف هذا الفيلم عن الحكاية الأم الأميرة النّائمة، يمكن أن نلمس من خلال مشاهدتنا لهذا الفيلم حربًا ضروسًا بين ثنائيّة الخير والشّرّ، لكن من وجهة نظر توضيحيّة لأسباب هذا الصّراع مع إنصاف واضح لشخصيّة الجّنّيّة، كما يظهر الفيلم فقد سرق ستيفيان جناحيها، بعد أن أوهمها بأنّه

عشيقها. لذا انتقمت منه بإلقاء التّعويذة المذكورة على ابنته، لكنّها تنقذها في النّهاية بقبلة منها، حينما فشل فيليب الأمير بذلك، إذ لم تنجح قبلته بذلك، كما ويشي لنا هذا التغيير في تطوّر الحكاية بإحياء البعد النّسويّ في الحكاية، فالّذي أنقذ الأميرة هي الجّنّيّة (أنثى) وليس أميرًا (ذكر)، وبهذا ألغيت عقدة سندريلا من الحكاية، وفي الفيلم يتحوّل الصّراع من صراع بين شخصين إلى صراع شرس بين مملكتين، وكلّ طرف يرى بأن الحقّ يقف إلى جانبه، وأنّه يمثّل الخير والنّور بينما يمثّل الطّرف الآخر الشّرّ والظّلمة، وهذا الصّراع المحتدم في الفيلم، يشعل الصّراع داخل عقل المشاهد الّذي يخضع للتساؤل: من يؤيّد؟ مع من يتّفق؟ هل الخير نسبيّ؟ وهل الشّرّ كذلك؟ كيف يمكن للجنّيّة ماليفسنت أن تلقي تعويذة شرّيرة قاسية على طفلة صغيرة في عيد ميلادها! أن تكون هي من يحنّ عليها ومن يكون سبب إنقاذها! يشير هذا السّلوك إلى أنّ الخير والشّرّ هما نسبيّان، وفي كلّ منهما الكثير من التّناقضات، والأصحّ أن نجزم بأنّ هناك خير نسبيّ وشرّ نسبيّ، ولا مكان للمطلق فيهما؛ فمن سعى لسرقة جناحيّ الجّنّيّة هو نفسه من عشقها ذات يوم مضى، نذكّر أيضًا بأنّ حجر الزّاوية في حكاية الأميرة النّائمة وجاك وجذع الفاصولياء هو السّرقة، فجاك سرق القيثارة السّحريّة والأوزّة من المملكة السّحريّة، وستيفان سرق في الفيلم جناحيّ الجّنّية فالميسنت، وكلا السّرقتين أشعلتا نار الصّراع بين القطبين المتصارعين في الحكايتين، والمثير في السّياقين، أنّ الحكاية الأصليّة، الأميرة النّائمة، أخفت السّرقة بتاتًا، ليشعّ النّور حول شخصيّة الأميرة وحدها، وتبقى الظّلمة من نصيب الجّنّيّة، بينما في حكاية جاك وجذع الفاصولياء، لم تخفِ الحكاية السّرقة ولكنّها صوّغتها كما ذكرنا سابقًا ومنحتها الشّرّعيّة، وقد فضح الفيلم جاك وجذع الفاصولياء- القصّة الحقيقيّة، بئس الرّواية وزيفها.

الخلاصة

بداية نعترف بأنّ مناقشة موضوع الدّراسة، ثنائيّة الخير والشّرّ في أدب الأطفال والفنّ السّينمائيّ من خلال الحكاية الشّعبيّة، لم يكن سهلًا، ليس بسبب صعوبة الدّراسة وإنّما بسبب هذا الوازع الّذي ما زال يصلنا بشوق وحنين بهذه الحكايات، كما أنّنا ناقشنا حقلين معرفيين مختلفين، الحكاية الشّعبيّة والفنّ السّينمائي الحديث، ولكلّ منهما أدواته وتقنيّاته وبيئته وأهدافه، لذا تمّ الالتزام بحكايتين وفيلمين منعًا للإطالة الّتي لا يسمح بها المقال.

حاولنا من خلال هذه المقاربة الوقوف على المتغيّرات الّتي تمليها روح العصر، وقد أشارت هذه الدّراسة إلى وجود حرب صراع بين روايات مختلفة، أي بين الحكاية الأم بكلّ جماليّاتها الفانتازيّة والفيلم المتفرّع منها، كما أنَّ لكلّ منهما نظرته وروايته الخاصّة به، وهذا يؤكّد ما جاءت به الدّراسة في البدايات بأنّ ثنائيّة الخير والشّرّ، فلسفة مركّبة ومعقّدة، والأهمّ من ذلك كلّه أنّها نسبيّة وتختلف من قارئ لآخر، وغير ثابتة، ويمكن الاستنتاج أيضًا بأنّ كمّيّة الرّسائل المشفّرة داخل نصوص السّرد الشّعبيّ كثيرة ومبطّنة، وتخاطب نوعين من القرّاء، القارئ الطّفل من خلال الفانتازيا، والقارئ البالغ من خلال رسائل الحكمة، يذكر لصالح الحكايتين قدرتهما ومرونتهما على تكثيف الفانتازيا بهدف استبعاد الرّسائل التّربويّة من سطح النّص، معوّلين على قدرة الطّفل على التّحليل والاستنتاج بعد عبور تجربة المتعة واللّذّة، رغم تباين الرّوايات والنّسخ، ستبقى الحكايات خير وعاء فنّيّ لتقديم ثنائيّة الخير والشّرّوغيرها من القضايا الفكريّة والفلسفيّة ضمن أسلوب فانتزيّ، شائق وممتع، وإن تخللّه عبر العصور كسر قوالب وتغيير وسائط، وقلب أدوار بين قوى الخير وقوى الشّرّ، وبعض التّغييرات الأخلاقيّة بما يتناسب مع التّيّارات الفكريّة والعصريّة، ومن الواضح أنّ فنّ السّينما قد أضحى لاعبًا هامًا في مناقشة القضايا الّتي يناقشها أدب الأطفال، خاصّة أنّه يمتلك كلّ المؤثّرات والتّقنيّات الّتي من شأنها جذب الأطفال وإثارتهم وبالتّالي إقناعهم بروايتها.

المراجع والمصادر

ابن المقفّع، عبد الله. **كليلة ودمنة**. القاهرة: دار المعارف. 1979.

السّلامة، سهى." ثنائيّة الخير والشّرّ في الحكاية الشّعبيّة، دراسة نقديّة." **مجلة الأدب الشّعبي**، مج.15 ع.2 (2021): 45-66.

العناني، سارة. "لأغراض سياسية: قصة اختراع الخير والشر في الحكايات." منشور, 16 February ,2018, https://manshoor.com/society/ethics-and-moral-of-stories/. Accessed 27 April 2024.

الغاضي، عبد الله. الخير والشّرّ في الحكاية العربيّة الشّعبيّة. ط. 1. د.م.: دار الفكر، 2005.

ألف ليلة وليلة. طبعة برسلاو. القاهرة: دار الكتب المصريّة، 1998.

النابلسي، محمد سليمان. **فلسفة الخير والشّرّ في الحكاية الشّعبيّة**. ط. 2. د.م.: دار الحجاز، 2012.

برونو، بتلهايم. **التحليل النّفسيّ للحكايات الشّعبيّة**. ترجمة: طلال حرب. د.م.: د.ن.، 1985.

حوراني، ر. (مترجم). **الأميرة وحبّات الفول**. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون. د.ت.

روائع الحكايات العالميّة. ج. 2. بيروت: دار الشّرق العربي، 1997.

روائع الحكايات العالميّة. ج. 3. بيروت: دار الشّرق العربي، 1997.

علي، ف. (مترجم). **الشّجرة الكريمة**. القدس: آدم. 2001.

قدّوري، ع. "صورة المرأة في المخيال الشّعبي: دراسة سيميو انثروبولوجيّة لحكاية الفتاة والغول." **مجلة الدّراسات الإنسانيّة والاجتماعيّة** 10 (2021): 202-189.

كفافي، ع. "عقدة سندريلا: خوف المرأة الخفيّ من الاستقلال." **علم النّفس** 67-68 (2003): 6-23.

مبارك، س. **النّصّ والصّورة**. القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 2016.

مطلق، أ. **عازف المزمار**. بيروت: دار لبنان ناشرون، 1979.

معمري، أ. "ألف ليلة وليلة بين أدب الطّفل والرسوم المتحركة." **مجلّة ألف اللّغة والإعلام والمجتمع**. مج.7 ع.2 (2020).

مهوي، إ. و كناعنة، ش. **قول يا طير**. بيروت: مؤسّسة الدّراسات الفلسطينيّة، 2001.

وتد، لؤي. "أنا- الحقير المدمّر، تمييع سرديّة ثنائيات الخير والشّر في سينما الأطفال." Home, 9 November 2017, https://raseef22.net/article/1087690. Accessed 27 April 2024.

Andresen, Emilie Flyen. 'And They Say We Shouldn't Teach Children About Evil…'-Harry Potter as a Tool for Understanding Evil. MS thesis. NTNU, 2017.

Ashliman, D. L. *Folklore and mythology electronic texts*. DL Ashliman., 1996

Beach, Richard, et al. "Exploring the "critical" in critical content analysis of children's literature." 58th yearbook of the National Reading Conference. Oak Creek, WI: National Reading Conference, 2009.

Bettelheim, Bruno. *The Uses of Enchantment: The Meaning and Importance of Fairy Tales*. Vintage, 2010.

Bottigheimer, Ruth B. *Fairy Godfather: Straparola, Venice, and the Fairy Tale Tradition*. University of Pennsylvania Press, 2002

Büyü, Gül. *Evil in fairy tales across cultures: A study of Turkish and British fairy tales from a psychological perspective*. (2013).

Haase, Donald. *The Greenwood Encyclopedia of Folktales and Fairy Tales*. Greenwood Publishing Group, 2008

Jack and the Beanstalk. n.p., n.p.

Jackson, Rosemary. *Fantasy: The Literature of Subversion*. Routledge, 2019

MacDonald, Margaret. *The Good and the Bad in Folktales*. Oxford University Press, 2006.

Marshall, Elizabeth. "Stripping for the wolf: Rethinking representations of gender in children's literature." *Reading Research Quarterly* 39.3 (2004): 256-270.

Marshall, Elizabeth. "Stripping for the wolf: Rethinking representations of gender in children's literature." *Reading Research Quarterly* 39.3 (2004): 256-270.

McCulloch, Fiona. *Children's literature in context*. Bloomsbury Publishing, 2011.

McGillis, Roderick. *Voices of the other: Children's literature and the postcolonial context*. Routledge, 2013.

Rukavishnikova, Olga, Natalya Saenko, and Elena Panova. "Evil crystallizing in children’s fiction as cultural Echoes of the 20th century." *Utopía y Praxis Latinoamericana* 25.12 (2020): 93-101.

Sharma,S ."A Study of Good and Evil in JK Rowling’s Harry Potter Series." *Journal of New Zealand Studies* NS34 (2022), https://doi.org/ 10.5281/zenodo.7262621: 327-331.

Smith, John. "The Impact of Film Adaptation on Children's Understanding of Values: A Review of Literature." *Journal of Child Psychology and Education*, vol. 15, no. 2, 2020, pp. 78-92.

VisikoKnox-Johnson. L .The Positive Impacts of Fairy Tales for Children, Hilo *HOHONU*: University of Hawai‘i, 2016, vol. 14: 77-81

Zipes, Jack. *Fairy Tales and the Art of Subversion: The Classical Genre for Children and the Process of Civilization*. Routledge, 2017